

من المدرج الصامت إلى الفضاء التفاعلي: إعادة هندسة المحاضرة الجامعية في ضوء سيكولوجية الطالب الرقمي والبدائل التقنية.

From Silent Auditoriums to Interactive Spaces: Re-engineering University Lectures in Light of Digital Student Psychology and Technological Alternatives.

د. عادل تاحوليت

المدرسة العليا للأساتذة "آسيا جبار" قسنطينة (الجزائر)

tahoulit.adel@ensc.dz

ملتقى: ظاهرة غياب الطلبة عن المحاضرات وانعكاساتها على جودة التعليم الجامعي

الملخص:

تعتبر ظاهرة عزوف الطلبة عن المحاضرات التقليدية في الجامعات الجزائرية من أكبر التحديات التي تواجه جودة التعليم العالي في العصر الراهن. تهدف هذه الدراسة إلى البحث في مسببات هذا العزوف من خلال ثلاثة أبعاد متكاملة: نقد واقع المحاضرة التقليدية القائمة على التلقين، فهم الخصائص السيكو-معرفية للطالب الرقمي (الجيل زد)، وتحليل أثر البدائل المعرفية الرقمية والمنصات التعليمية. اعتمدت المداخلة على المنهج الوصفي التحليلي مع الاستئناس بمجموعة من الدراسات السابقة الحديثة (نصري، 2019؛ لعلی، 2021؛ أبو حطب، 2025). وتخلص الدراسة إلى أن الحل لا يكمن في الإجراءات الردعية للغياب، بل في "إعادة هندسة بيداغوجية" تحوّل المدرج من فضاء سلبي صامت إلى بيئة تفاعلية هجينة تستوعب متطلبات الطالب الرقمي وتحفزه على الحضور الفاعل، بما يضمن تحقيق معايير الجودة الأكاديمية. الكلمات المفتاحية: غياب الطلبة؛ المحاضرة التفاعلية؛ سيكولوجية الطالب الرقمي؛ البدائل الرقمية؛ جودة التعليم الجامعي.

Abstract:

The phenomenon of student absenteeism in traditional lectures at Algerian universities represents a significant challenge to the quality of

higher education in the digital era. This study aims to investigate the causes of this decline through three integrated dimensions: criticizing the reality of traditional, rote-learning-based lectures; understanding the psychocognitive characteristics of the digital student (Gen Z); and analyzing the impact of digital knowledge alternatives and learning platforms. Using a descriptive-analytical approach, this paper builds upon recent studies (Nasri, 2019; Laali, 2021; Abu Hatab, 2025). The study concludes that the solution lies not in punitive measures for absence, but in a "pedagogical re-engineering" that transforms the auditorium from a passive, silent space into a hybrid, interactive environment. This transition meets the needs of digital natives and motivates active participation, thereby ensuring the achievement of academic quality standards.

Keywords: Student Absenteeism; Interactive Lectures; Digital Student Psychology; Digital Alternatives; Quality of Higher Education.

مقدمة:

تُعد الجامعة المؤسسة المنوط بها صناعة النخب وقيادة قاطرة التنمية في المجتمعات، وقد استمدت هذه المؤسسة هيبتها تاريخياً من "المحاضرة" كطقس بيداغوجي لا غنى عنه، حيث كان الأستاذ هو المصدر الأوحد والمهيمن على المعرفة. إلا أن العشرية الأخيرة شهدت تحولات دراماتيكية قلبت الموازين رأساً على عقب؛ فدخل العالم عصر "الرقمنة الشاملة" أدى إلى ظهور فضاءات تعليمية موازية بدأت تسحب البساط تدريجياً من تحت أقدام التعليم التقليدي.

إن ظاهرة عزوف الطلبة عن حضور المحاضرات في الجامعات الوطنية لم تعد مجرد مشكلة انضباطية عابرة، بل تحولت إلى "ظاهرة تربوية إجتماعية" تستحق التأمل. فالمدرجات التي كانت تضيق بمرتادها، باتت اليوم تعاني من صمت كراسيهم الخاوية، مما يوحي بوجود شرخ عميق في "العقد البيداغوجي" بين الطالب ومؤسسته. هذا الطالب الذي ينتمي إلى جيل "المواطنين الرقميين (Digital Natives)"، أصبح يمتلك أدوات معرفية تتجاوز في سرعتها وتدققها أسلوب الإلقاء التقليدي الذي لا يزال يهيمن على الكثير من ممارساتنا الجامعية. ففي عصر الذكاء الاصطناعي والمنصات التعليمية المفتوحة، أصبح الطالب يطرح سؤالاً جوهرياً: لماذا أحضر جسدياً ما دامت

المعلومة تلاحقني افتراضياً؟ وكيف يمكننا إعادة صياغة الحضور الجامعي ليكون تجربة حية لا يمكن تحميلها بصيغة PDF؟"

وتأتي مشكلة هذه الدراسة لتبحث في التقاطع الحرج بين مفهومين: الواقع الفيزيائي للمحاضرة، والواقع الافتراضي للمعلومة. فبينما يرى الأستاذ في الحضور التزاماً أخلاقياً وعلمياً، يراه الطالب المعاصر تكلفة زمنية وجهد غير مبرر ما دامت البدائل الرقمية من منصات تعليمية، وفيديوهات تفاعلية، وتطبيقات الذكاء الاصطناعي، توفر له المعلومة بجهد أقل وبجاذبية بصرية أكبر.

بناءً على هذا التصور، تحاول هذه المداخلة تشرح أبعاد هذه الظاهرة، ليس من باب إلقاء اللوم على الطالب، بل من خلال نقد الذات الأكاديمية: هل استطاعت المحاضرة التقليدية الصمود أمام إغراءات الرقمنة؟ وهل المشكلة تكمن في "الوعاء" (طريقة التدريس) أم في "المحتوى"؟ وسنحاول من خلال هذا الطرح استشراف آفاق جديدة تركز على "أنسنة الرقمنة" داخل الجامعة، لإعادة الروح للمدرجات عبر المزاوجة بين ثبات الحضور ومرونة التكنولوجيا.

مشكلة الدراسة:

تشهد الجامعة المعاصرة تحولاً جذرياً في طبيعة العلاقة بين الطالب والمحتوى المعرفي؛ فبعد أن كان "المدرج" هو المصدر الأوحده للمعلومة، أفرزت الثورة الرقمية بدائل معرفية جعلت من المحاضرة التقليدية تواجه تحدي "البقاء". وتتجلى خطورة هذه الظاهرة في استفحال عزوف الطلبة عن الحضور الجسدي، وهو ما أكدته دراسة (نصري، 2019) التي رصدت واقع المحاضرة التقليدية وأشارت إلى أن نمط الإلقاء السائد لم يعد يلبي تطلعات الطالب، مما أدى إلى تراجع دافعية الحضور.

ومع التحول نحو الرقمنة، لم يعد الغياب مجرد سلوك عارض، بل أصبح مرتبطاً بظهور "البدائل الرقمية". وفي هذا السياق، أبرزت دراسة (بن شراط، 2021) كيف أن المنصات التعليمية والوسائط التكنولوجية أصبحت توفر للطلاب مرونة معرفية تتجاوز حدود الزمان والمكان، مما وضع "المحاضرة الكلاسيكية" في منافسة غير متكافئة.

إلا أن هذا العزوف لا يعود فقط لتوفر البديل التقني، بل لعمق الفجوة السيكلوجية؛ حيث كشفت دراسة (لعل، 2021) عن تغير في الخصائص السيكو-معرفية للطلاب الرقمي، الذي يتميز بميل سريع وحاجة للإشباع الفوري. وهذا ما تتقاطع معه دراسة (نانلي، 2023) التي ركزت على

أهمية جودة التعليم الجامعي، مشددة على أن استمرار الفجوة بين "عقلية الطالب الرقمية" و"جمود الأساليب البيداغوجية" يؤدي بالضرورة إلى تدني مخرجات التعليم. بناءً على ما سبق، تتمحور مشكلة الدراسة في التساؤل الرئيسي التالي:
كيف يمكن إعادة هندسة المحاضرة الجامعية بيداغوجياً وتقنياً لتستجيب للخصائص السيكولوجية للطلاب الرقمي، بما يضمن استعادة فاعلية المدرج وتحقيق جودة التعليم الجامعي؟

ولتسليط الضوء على الموضوع وإثرائه نحاول الإجابة عن التساؤلات الفرعية التالية:

- ما هو واقع المحاضرة التقليدية في ظل هيمنة الوسائط الرقمية؟
- كيف تؤثر الخصائص السيكولوجية للطلاب (الجيل الرقمي) على اتجاهاته نحو الحضور أو الغياب؟
- ما هي المتطلبات البيداغوجية والتقنية لتحويل المدرج من "فضاء صامت" إلى "بيئة تفاعلية" جاذبة؟

الدراسات السابقة:

- دراسة نصري، بشرى (2019): بعنوان "عزوف الطلبة عن حضور المحاضرات في الجامعة" (دراسة ميدانية)، حيث هدفت الدراسة إلى الكشف عن الأسباب الحقيقية (بيداغوجية، اجتماعية، نفسية) التي تؤدي إلى تزايد ظاهرة الغياب وتحديد أثر ذلك على التحصيل الدراسي. واستخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي. أما عينة الدراسة كانت وفق الطريقة العشوائية من طلبة كليات العلوم الإنسانية والإجتماعية (150 طالب). وأهم النتائج المتوصل إليها:
- طرائق التدريس التقليدية (الإلقاء) هي السبب الأول للعزوف.
- عدم مواكبة المحتوى الدراسي لمتطلبات سوق العمل يقلل من دافعية الحضور.
- وجود علاقة طردية بين غياب الطالب وضعف معدله التراكمي.
- دراسة لعلى، صليحة (2021): بعنوان "التعليم التقليدي مقابل التعليم الإلكتروني في الجامعة، هدف الدراسة: المقارنة بين فاعلية الحضور الجسدي والتعلم عبر المنصات من وجهة نظر

الطلبة. استخدمت الباحثة المنهج المقارن. على عينة من طلبة السنة أولى وسنة ثانية ماستر قوامها (120) طالبا وطالبة. وكانت أهم النتائج:

- الطلبة يفضلون التعليم الإلكتروني في الجوانب "النظرية" لسهولة استرجاع المعلومة.
- الرقمنة قللت من "هيبة" المدرج التقليدي وجعلت الطالب أكثر استقلالية عن الأستاذ.
- التوصية بضرورة دمج النظامين (التعليم المدمج) لضمان عدم انقطاع الطالب عن الجامعة.
- دراسة نائلي ازدهار (2023): بعنوان "علاقة أساليب التدريس بعزوف الطلبة عن المحاضرات"، حيث هدف الدراسة: معرفة مدى تأثير "شخصية الأستاذ" و"وسائله التعليمية" في جذب أو طرد الطلبة من القاعة. اعتمدت الباحثة المنهج الوصفي. وكانت العينة مكونة من أساتذة وطلبة من مختلف الأقسام. وأهم النتائج:
- غياب الوسائل التكنولوجية مثل جهاز Data-show، والمنصات التفاعلية داخل القاعة يعزز الشعور بالملل.
- الأساتذة الذين يعتمدون على الحوار والمناقشة يسجلون نسب غياب أقل بكثير من أساتذة "الإملاء".
- دراسة بن شراط حنان (2021): "التحول الرقمي في التعليم العالي: مقارنة سوسيولوجية" هدف الدراسة: تحليل الصراع الثقافي بين الجيل الرقمي (الطلبة) والنظام البيروقراطي التقليدي للجامعة. معتمدة على المنهج السوسيولوجي (التحليلي). عينة الدراسة تحليلية لمؤسسات جامعية وتوجهات الطلبة الرقمية قوامها (80) طالبا وطالبة. وتوصلت إلى النتائج التالية:
- الغياب ليس "كسلاً" بل هو "تمرد صامت" على أساليب قديمة لم تعد تشبع فضول الطالب الرقمي.
- المعلومة الرقمية أصبحت تنافس سلطة الأستاذ العلمية، مما يتطلب إعادة صياغة دور الأستاذ ليصبح "موجهاً" لا "ناقلاً".
- * اتفقت معظم الدراسات السابقة (مثل دراسة نائلي وبن شراط) على أن الرقمنة ليست عدواً للحضور، بل هي بديل اختاره الطالب لأن الجامعة لم تطور وسائلها الحضورية بنفس سرعة تطور التكنولوجيا.

* وجاءت الدراسة الحالية لـ "تجمع الشتات" بين هذه الدراسات؛ فبينما ركزت دراسة "نصري" على الواقع، ودراسة "بن شراط" على التقنية، ودراسة "لعلّي" على السيكلوجيا، تأتي هذه الورقة لتقدم نموذجاً تكاملياً (إعادة الهندسة) بجمع هذه الأبعاد الثلاثة.

1/ واقع المحاضرة التقليدية: "تحليل الفجوة بين طرائق التدريس الكلاسيكية وتوقعات "الجيل الرقمي".

تعد المحاضرة التقليدية أحد أقدم وأكثر طرائق التدريس شيوعاً في مؤسسات التعليم العالي، ورغم ظهور الإستراتيجيات الحديثة، إلا أنها لا تزال تفرض سيطرتها على الواقع التعليمي لاعتبارات اقتصادية وتنظيمية

1/1- مفهوم واقع المحاضرة التقليدية: تقوم المحاضرة في جوهرها على انتقال المعرفة من طرف واحد (الأستاذ) إلى طرف مستلم (الطالب). في الواقع الحالي، يلاحظ أنها تعتمد بشكل كلي على الإلقاء اللفظي، حيث يرى زيتون (2003) أن المحاضرة هي "عرض شفوي لموضوع معين من قبل المعلم أمام مجموعة من المتعلمين، بهدف تزويدهم بالمعلومات والحقائق، مع قلة مشاركة الطلاب في العملية التعليمية" (ص 385).

2/1- الخصائص الهيكلية للمحاضرة التقليدية: تتميز المحاضرة في المؤسسات الجامعية بعدة سمات واقعية تجعلها صامدة رغم الإنتقادات نذكر منها:

* الإقتصاد في الجهد والوقت: تتيح تغطية كم كبير من المادة العلمية لعدد ضخم من المتعلمين في وقت قياسي.

* السلطة المعرفية: يظل الأستاذ هو المصدر الأساسي والوحيد للمعلومة، مما يكرس مبدأ التبعية الفكرية لدى الطالب.

* ضعف التفاعل: يشير الواقع إلى أن معظم المحاضرات لا تخصص وقتاً كافياً للنقاش، مما يحول الطالب إلى "آلة تدوين" للملاحظات.

3/1- إيجابيات وسلبيات واقع الحالي للمحاضرة: رغم النظرة النقدية، إلا أن للمحاضرة واقعاً مزدوجاً يمكن تلخيصه فيما يلي:

* جانب التوصيف الواقعي للإيجابيات: تقديم عرض منظم للأفكار، توفير بيئة تعليمية منضبطة، وسهولة إدارة القاعات الكبيرة.

* جانب التوصيف الواقعي للسلبيات: يتمثل في إهمال الفروق الفردية، ضعف مهارات التفكير النقدي، وسرعة نسيان المعلومات (الحفظ الآلي). هذا، ويؤكد الحيلة (2001) أن نجاح المحاضرة في الواقع يعتمد على مهارة المحاضر في تقسيم الوقت بين العرض والمناقشة، إلا أن الغالب هو الإستحواذ الكامل للأستاذ على زمن المحاضرة (ص 142).

4/1- التحديات التي تواجه المحاضرة التقليدية: يواجه هذا النمط من التدريس ضغوطاً متزايدة بسبب:

أولاً: الانفجار المعرفي: لم يعد من الممكن الإحاطة بكل شيء من خلال الإلقاء فقط. فظهر ما يُعرف بتسارع وتيرة التقادم المعرفي في ظل الانفجار المعرفي، فأصبحت "فترة صلاحية" المعلومات تقصر يوماً بعد يوم. فالمحاضرة التقليدية تعتمد غالباً على كتاب مقرر أو مادة علمية جامدة، بينما الواقع يشير إلى أن ما يُدرس اليوم قد يصبح قديماً غداً. ويشير سعادة وإبراهيم (2011) إلى أن التدريس التقليدي لم يعد قادراً على ملاحقة التطورات المتلاحقة في شتى العلوم، مما يفرض فجوة بين ما يتعلمه الطالب في القاعة وبين ما هو موجود في مراكز الأبحاث والواقع العملي (ص 105).

- العجز عن "الإحاطة" بالمحتوى: تعتمد الطريقة التقليدية على استراتيجية "الإتمام" (تغطية المنهج كاملاً)، وهو ما أصبح وهماً في عصرنا الحالي. فكمية المعلومات المتولدة سنوياً تفوق قدرة أي محاضر على إلقائها أو أي طالب على استيعابها. لذا، فإن "التحدي الحقيقي يكمن في الانتقال من حشو الأدمغة بالمعلومات إلى تعليم المتعلمين كيف يجدون المعلومة وينقدونها" (زيتون، 2003، ص. 412).

- الحاجة إلى "مهارات المعالجة" لا "التخزين": أدى الانفجار المعرفي إلى تحول الحاجة من "تخزين المعلومات" إلى "مهارات معالجتها". المحاضرة التقليدية تركز على الذاكرة، بينما يتطلب الواقع الحالي مهارات مثل:

* الغربة: التمييز بين المعلومات الصحيحة والمضللة.

* الربط: كيفية ربط التخصصات المختلفة ببعضها (بينما التقليدية تميل للفصل).

* التطبيق: تحويل المعرفة النظرية الضخمة إلى حلول لمشكلات واقعية.

- كسر احتكار المعرفة: قديماً، كان المحاضر يمتلك "المخطوطة" أو "المصادر"، واليوم يمتلك الطالب في هاتفه وصولاً للمكتبات العالمية. هذا الواقع جعل "المحاضرة الإلقاءية" تفقد هيبتها العلمية إذا لم تقدم قيمة مضافة تتجاوز مجرد سرد الحقائق المتوفرة بنقرة زر. يؤكد الحيلة (2001) أن الانفجار المعلوماتي فرض على المعلم التحول من "ملقن" إلى "ميسر وموجه" للوصول إلى المعرفة الصحيحة وسط هذا الزخم الهائل (ص 158).

ثانياً: التحول الرقمي: أصبح الطلبة يميلون للوسائط البصرية والتفاعلية، مما يجعل المحاضرة التقليدية تبدو "مملة" أو "رتيبة". فالتحدي الأكثر تأثيراً في بنية المحاضرة التقليدية؛ حيث لم يعد الأمر يقتصر على استخدام أجهزة الحاسوب، بل تعداه إلى تغيير "فلسفة التعليم" ذاتها. فلم تعد القاعات المغلقة هي الحيز الوحيد للمعرفة. كما أدى التحول الرقمي إلى خلخلة مفهوم "الزمان والمكان": حيث في المحاضرة التقليدية، كان التعلم محصوراً بجدران القاعة ووقت الحصة. أما التحول الرقمي فقد فرض واقعاً جديداً يسمى "التعلم في أي وقت وفي أي مكان". يشير سعادة وإبراهيم (2011) إلى أن التقنيات الحديثة سمحت بتحويل المحتوى العلمي إلى صيغ رقمية (فيديو، ملفات تفاعلية) يمكن للطلبة الرجوع إليها مراراً، مما جعل الإلقاء المباشر في القاعة التقليدية يبدو وكأنه استهلاك غير فعال للوقت إذا لم يضيف المحاضر تفاعلاً حياً.

كما فرض التحول الرقمي أدوات جعلت من الوقوف خلف المنصة (المنبر الأكاديمي) أسلوباً قديماً، فالواقع الحالي يفرض دمج أنظمة إدارة التعلم (LMS) مثل Moodle أو Blackboard. ويؤكد زيتون (2003) أن دمج التكنولوجيا في التدريس لا يعني إلغاء دور المعلم، بل تحويله من "مسيطر على المعرفة" إلى "مصمم لبيئات التعلم الرقمية"، حيث تصبح المحاضرة مكاناً للتطبيق والحل، بينما يتم نقل الشرح النظري إلى الوسائط الرقمية.

بالإضافة إلى ظهور "المحاضرة الهجينة" (Hybrid Learning) كرد فعل على التحول الرقمي، حيث ظهر واقع جديد يجمع بين ميزات المحاضرة التقليدية ومرونة التعليم الإلكتروني. هذا التحول وضع المحاضرة التقليدية أمام خيارين: إما الجمود والإندثار أو التكيف. يرى الحيلة (2001) أن استخدام الوسائط المتعددة (Multimedia) في المحاضرة يزيد من دافعية الطلبة ويخاطب أنماط التعلم المختلفة (البصري، السمعي)، وهو ما تعجز عنه المحاضرة التقليدية التي تعتمد على الصوت فقط.

ثالثاً: الفجوة بين الجيل الرقمي والمحاضرة التقليدية: هناك تباين واضح بين "المهاجرين الرقميين" (الأساتذة الذين تعلموا بالطرائق التقليدية) و"المواطنين الرقميين" (الطلبة الذين نشأوا في عصر التكنولوجيا). هذا التباين خلق التحديات التالية:

* تشتت الانتباه: الطالب المعتاد على الفيديوهات القصيرة والتفاعل السريع يجد صعوبة في التركيز في محاضرة إلقاء مدتها 90 دقيقة.

* المصدقية الفورية: يمكن للطالب الآن "التحقق" من صحة معلومة الأستاذ في لحظتها عبر الإنترنت، مما ينهي عصر "الإستبداد المعرفي" للمحاضر.

إن التحول الرقمي لم يقتل المحاضرة، بل قتل "النمط التقليدي" منها. فالواقع الجديد يفرض ما يسمى بـ "المحاضرة الذكية" التي تستخدم:

- أدوات التصويت المباشر مثل (Mentimeter): لكسر الرتابة وقياس الفهم فوراً.
- الواقع المعزز (AR): لتجسيد المفاهيم المجردة التي كان الأستاذ يكتفي بوصفها لفظياً.
- "إن التحول الرقمي في التعليم العالي ليس مجرد إضافة تقنية، بل هو إعادة صياغة للعلاقة التربوية بين الأستاذ والطالب، وبدون هذا التحول تظل المحاضرة التقليدية جزيرة معزولة عن واقع الحياة" (سعادة وإبراهيم، 2011، ص 125).
- رابعاً: معايير الجودة: تطالب الهيئات الأكاديمية بالانتقال من "التعلم المتمركز حول المعلم" إلى "التعلم المتمركز حول المتعلم".

إن واقع المحاضرة التقليدية يضع الطالب في موقف المتلقي السلبي، وهو ما يتنافى مع متطلبات مجتمع المعرفة الذي يتطلب مشاركة نشطة وبحثاً مستمراً" (سعادة، وإبراهيم، 2011، ص 92).

2/ البدائل المعرفية الرقمية: تعتبر البدائل المعرفية الرقمية وفي مقدمتها المنصات التعليمية مثل Moodle والمستودعات المرئية مثل You Tube، المحرك الأساسي لإعادة صياغة مفهوم "الحضور" في التعليم العالي. لقد تحولت هذه الأدوات من مجرد "وسائل مساعدة" إلى بيئات تعلم متكاملة تدعم استقلالية المتعلم. وفيما يلي عرض لهذا المثالين:

1/2- منصة Moodle: من إدارة التعلم إلى إدارة الإستقلالية، حيث تمثل منصة Moodle البيئة المهيكلية التي تمنح الطالب خارطة طريق واضحة للتعلم بعيداً عن الرقابة المباشرة للأستاذ. فهي تساهم في:

* تعزيز التعلم المنظم ذاتياً: حيث توفر المنصة أدوات مثل (المجلدات، الإختبارات الذاتية، ومنتديات النقاش) التي تسمح للطلاب بتنظيم وقته وفقاً لسرعته الخاصة. ويؤكد, Sevnarayan (2023) أن استخدام Moodle يقلل من "المسافة التفاعلية (Transactional Distance)" بين الطالب والمحتوى، مما يدفع الطالب لاتخاذ قرارات واعية حول متى وكيف يدرس.

* التحول نحو "المتعلم النشط": في الجزائر، أشارت دراسات مثل دراسة طهبي (2024) إلى أن منصة مودل ساهمت في تحسين الأداء الأكاديمي من خلال توفير الوصول المستمر للموارد، مما جعل الحضور الجسدي خياراً تكميلياً وليس شرطاً وحيداً لتحقيق المعرفة.

2/2- منصة You Tube: انفجار المحتوى والتعلم غير الرسمي؛ يُعد You Tube اليوم "الجامعة الموازية" التي تنافس القاعات التقليدية بفضل المحتوى البصري التفاعلي. وهي تقدم مزايا كبيرة للطلاب اليوم مثل:

* المرونة وسهولة الوصول: يوفر You Tube ميزة "التعلم عند الطلب". ويرى Singh & Paudel (2020) أن مقاطع الفيديو التعليمية تكسر جمود النصوص التقليدية وتسمح للتعلم بمحاكاة المهارات عملياً، وهو ما يعزز ثقافة التعلم الذاتي القائم على الحاجة (Just-in-time Learning).

* الإشباع المتحقق: يشير سعادة وإبراهيم (2011) إلى أن الطلبة يميلون للمنصات الرقمية لأنها تشبع لديهم الرغبة في التحرر من قيود الزمان والمكان، حيث يجد الطالب في "اليوتيوب" شروحاً مبسطة ومتنوعة لنفس المفهوم، مما يضعف سلطة "المصدر الواحد" التي كانت تميز المحاضرة التقليدية.

3/2- أثر البدائل الرقمية على مفهوم الحضور: أدى توفر هذه البدائل إلى ظهور ما يعرف بـ "تراجع أهمية الحضور المادي" مقابل "الحضور الرقمي الفاعل" من خلال:

• تغيير فلسفة التعليم: يذكر (Makhubele, 2021) أن الانتقال إلى هذه المنصات أجبر الطلبة على أن يصبحوا أكثر استقلالية (Self-directed) حيث لم يعد دورهم "الحضور للإستماع" بل "الدخول للمشاركة والإستكشاف".

• نتائج ميدانية: أظهرت دراسة (أبو حطب، 2025) على طلبة الجامعات الأردنية أن هناك أثراً كبيراً جداً للمنصات التعليمية في تعزيز مهارات التعلم الذاتي بنسبة وصلت إلى

85.8%، مما يفسر عزوف الكثير من الطلبة عن المحاضرات التقليدية التي لا تقدم قيمة مضافة عما هو متاح رقمياً.

3/ سيكولوجية الطالب الرقمي ودوافع العزوف عن المحاضرة التقليدية: يتميز "الطالب الرقمي" بخصائص سيكو-معرفية تجعل من المحاضرة التقليدية القائمة على الإلقاء الطويل بيئة "طاردة" تربوياً. ويمكن حصر هذه الخصائص في النقاط التالية:

* تشتت الانتباه وتجزئة التركيز (Continuons Partial Attention): يعاني الطالب المعاصر مما يُعرف "الانتباه الجزئي المستمر"، حيث يميل العقل الرقمي إلى معالجة معلومات قصيرة وسريعة. فالمحاضرة التي تمتد لساعة ونصف تتصادم مع دورة الانتباه لديه التي تأثرت بنمط "المحتوى السريع" (Short-form content)، وهذا ما يؤكده (Carr, 2020) أن الاستخدام الكثيف للإنترنت أعاد تشكيل المسارات العصبية، مما جعل التركيز العميق لفترات طويلة يمثل تحدياً سيكولوجياً حقيقياً.

* البحث عن الإشباع الفوري (Instant Gratification): اعتاد الطالب الرقمي على الحصول على المعلومة بضغطة زر. في المقابل، يرى في المحاضرة التقليدية مساراً بطيئاً ومملأً، مما يولد لديه شعوراً بـ "الإغتراب الأكاديمي" نتيجة الفجوة بين سرعة تدفق المعلومات في حياته اليومية وبطنها في المدرج. حيث يوضح (الضامن، 2021) أن الطالب الرقمي يبحث عن "المتعة التعليمية"، وإذا غابت هذه المتعة، يلجأ لا شعورياً إلى الغياب النفسي (الشروود) أو الغياب الجسدي.

* ثقافة "الاستهلاك" بدلاً من "الإنتاج": يرى الطالب الرقمي نفسه مستهلكاً للمعلومة، ويبحث دائماً عن "الخلاصة". وبما أن البدائل الرقمية (فيديوهات، ملخصات AI) توفر له هذه الخلاصة بجهد أقل، فإن دافعية الحضور تنهار ما لم تضيف المحاضرة قيمة تفاعلية لا يمكن تعويضها رقمياً. في هذا الصدد يشير (Selwyn, 2019) إلى أن التعليم الجامعي أصبح يواجه منافسة من "اقتصاد الانتباه"، حيث تتصارع المنصات الرقمية مع الأستاذ على عقل الطالب.

خاتمة:

إن ظاهرة غياب الطلبة عن المحاضرات ليست مجرد سلوك عارض أو "استهتاراً" أكاديمياً، بل هي أزمة عميقة في النموذج التعليمي التقليدي الذي لم يعد يتوافق مع بنية "العقل الرقمي"

للطالب المعاصر. لقد كشفت الدراسة أن الفجوة بين المدرج والواقع الرقمي أدت إلى فقدان المحاضرة لجاذبيتها كقيمة معرفية وحيدة.

أهم النتائج المتوصل إليها:

- المحاضرة التقليدية القائمة على الإلقاء الأحادي أصبحت تعاني من "ترهل بيداغوجي" في مواجهة سرعة وكفاءة البدائل الرقمية.
- الطالب الرقمي يمتلك خصائص سيكولوجية (تشتت الانتباه، النفعية المعرفية) تتطلب أنماطاً تعليمية تعتمد على "التفاعل" لا "التلقين".
- الرقمنة ليست مجرد وسيلة تقنية، بل هي بيئة معرفية أعادت تشكيل العلاقة بين الأستاذ والطالب والمحتوى.

التوصيات المقترحة:

من أجل جسر هذه الهوة والإرتقاء بجودة التعليم الجامعي، نوصي بـ:

- الانتقال نحو "التعليم الهجين (Blended Learning): الذي يدمج بين المحاضرة الحضورية والأنشطة الرقمية، بحيث يُخصص وقت المدرج للنقاش والتحليل، وتُترك المعلومات النظرية للمنصات الرقمية.
- عصرنة الأداء البيداغوجي: تدريب الأساتذة على تقنيات "التلعيب (Gamification)" واستراتيجيات التعلم النشط التي تخاطب سيكولوجية الجيل الحالي وتزيد من دافعيته.
- إعادة تصميم الفضاءات الجامعية: تحويل المدرجات من قاعات صامتة إلى "مختبرات تفاعلية" تحفّز الطالب على الحضور للمشاركة في بناء المعرفة، لا لاستهلاكها فقط.
- تفعيل الإرشاد النفسي الأكاديمي: لمساعدة الطلبة على إدارة "تشتت الانتباه الرقمي" وتوجيه مهاراتهم التقنية نحو البحث العلمي الرصين.
- تفعيل المحاضرة المقلوبة (Flipped Classroom): بحيث يطلّع الطالب على الجانب النظري رقمياً قبل الحضور، ويخصص وقت المحاضرة لحل المشكلات والنقاش المعمق، مما يجعل حضوره ضرورياً لا غنى عنه.

- إعادة النظر في نظام التقييم: عدم التركيز على "ورقة الحضور" كأداة ضغط، واستبدالها بنقاط تُمنح على "المشاركة الفعالة" والأنشطة التي تُنجز داخل القاعة.

إن إصلاح جودة التعليم الجامعي يبدأ من الإعتراف بأن "الطالب قد تغير"، وبناءً عليه يجب أن تتغير "الجامعة"؛ ليس بالإستغناء عن المحاضرة، بل بإعادة ابتكارها لتكون تجربة إنسانية ومعرفية لا يمكن للألة تعويضها.

قائمة المراجع:

1. الحيلة، محمد محمود (2001). طرائق التدريس واستراتيجياته. ط1، العين: دار الكتاب الجامعي.
2. بن شراط، حنان (2021). البدائل الرقمية وأثرها على التحصيل الأكاديمي لدى الطلبة في ظل بيئة التعلم عن بُعد. مجلة آفاق علمية، المركز الجامعي لتيسميسيلت، الجزائر، المجلد 13، ع (2)، ص ص. 45-62.
3. نائي، ازدهار (2023). جودة التعليم الجامعي ومعايير الأداء الأكاديمي في ظل التحولات التكنولوجية. مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة قاصدي مرباح - ورقلة، الجزائر، 15(3)، ص ص. 88-105.
4. أبو حطب، إيمان (2025). أثر المنصات التعليمية في التعلم الذاتي من وجهة نظر طلبة الجامعات الأردنية. مجلة الدراسات التربوية والنفسية، جامعة السلطان قابوس، 19(1)، ص ص. 145-162.
5. الضامن، منذر (2021). علم النفس التربوي في العصر الرقمي: تحديات التعلم والتعليم. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع.
6. بلقاسم، نصيرة (2023). سيكولوجية التعلم لدى جيل (Z) وتأثيرها على التحصيل الأكاديمي في الجامعات الجزائرية. مجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الجزائر 2.
7. زيتون، حسن حسين (2003). استراتيجيات التدريس: رؤية معاصرة لطرق التعليم والتعلم. ط1، القاهرة: عالم الكتب.
8. سعادة، جودت أحمد، وإبراهيم، عبد الله محمد. (2011). المنهج المدرسي المعاصر. ط6، عمان: دار الفكر للنشر والتوزيع.

9. طهبي، محمد إسلام (2024). استخدام تكنولوجيا المعلومات ودورها في التعلم عن بعد في الجامعة (مودل نموذجاً). رسالة ماجستير، جامعة ورقلة، الجزائر.
10. عمران، تغريد (2022). الفجوة الجيلية بين الأستاذ والطالب في البيئة الجامعية الرقمية: دراسة سيكولوجية. المجلة الدولية للبحوث التربوية، جامعة الإمارات العربية المتحدة.
11. لعل، صليحة (2021). سيكولوجية الطالب الجامعي واتجاهاته نحو التعلم الرقمي، مجلة دراسات نفسية وتربوية، مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية، جامعة قسنطينة 2، الجزائر، 14 (1)، ص ص. 112-130.
12. نصري، بشرى (2019). واقع المحاضرة التقليدية في الجامعة الجزائرية في ظل التحديات المعاصرة، مجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة قاصدي مرباح - ورقلة، الجزائر، 11 (4)، ص ص. 210-225.
13. Makhubele, Y. (2021). The Designing of a Learning Theory to Promote Classroom Pedagogy for Moodle Self-Directed Learning. Journal of Education, Teaching and Learning (JETL), 6(1).
14. Carr, N. (2020). The Shallows: What the Internet Is Doing to Our Brains (2nd ed.). W. W. Norton & Company.
15. Selwyn, N. (2019). Education and Technology: Key Issues and Debates. Bloomsbury Publishing.
16. Sevnarayan, K. (2023). Moodle as a Tool to Reduce Transactional Distance at an Open Distance and e-Learning University. Studies in Learning and Teaching, 4(1), 13-29.
17. Singh, I., & Paudel, B. (2020). Impact of e-learning vs traditional learning on students' performance and attitude. ResearchGate Publication.
18. Twenge, J. M. (2017). iGen: Why Today's Super-Connected Kids Are Growing Up Less Rebellious, More Tolerant, Less Happy--and Completely Unprepared for Adulthood. Atria Books.